المصطلحات ووضعها في اللغة العربية

للدكتور المهندس حسان الحاج إبراهيم

تمهيد

1- الإنسان حيوان مدني اجتماعي ، وأول ما يقتضيه ذلك وجود وسيلة يمكن بها للناس أن يتناقلوا فيما بينهم الآراء والأفكار والمعلومات ، وأن يُفْهِم بعضهم بعضاً وأن يَفْهَم بعضهم عن بعض .

والإنسان كذلك حيوان عاقل مفكر ، ولا بد للإنسان في تفكيره من وسيلة يستعين بها في هذا التفكير .

ووسيلة الإنسان في تفاهمه وتفكيره هي مجموعة منظومة من الرموز والعلامات التي يُتّفَق عليها ويمكن التعبير بها عن المعاني المختلفة .

2- والإنسان قادر إذا شاء على أن يبتدع نظماً رمزية تعتمد على الصوت والسمع أو على سائر الحواس الأخرى كالبصر والشم ، ويدرس العلم المسمى Semiotics هذه الصور المختلفة من صور التفاهم والتفكير البشري .

واعتماد الإنسان على البصر خاصة أمر مشاهد معروف تدل على ذلك ضروب الإشارة والإيماء التي نستعملها مع تعابير الوجه والغمز بالعينين والحاجبين وغيرهما ، وبها يستطاع نقل قدر كبير من المعلومات مما قد تعجز عنه الكلمات كما نعلم من التباس الفهم أحياناً على السامع الذي يسمع محدثه ولا يراه .

ولكن النظم غير الصوتية على ما لها من شأن أحياناً لا تعد شيئاً يذكر بالقياس إلى اللسان والصوت أو المنظومة السمعية . فإن ما يمكن التعبير عنه بالإشارة والإيماء أو بالحواس الأخرى محدود جداً بالقياس إلى عدد الكلمات والتعابير اللسانية . فالمنطق أو الكلام هو الوسيلة المثلى التي استطاع الإنسان بها التفاهم والتفكير . والنظام الرمزي الصوتي الذي يمثله المنطق أو الكلام هو أجل ما تفرد به الإنسان عن غيره من الأحياء .

3- ويقوم النظام الرمزي الصوتي على عدد من الرموز أو الكلمات التي تختص كل كلمة منها بمعنى معين متفق عليه . وقد كانت معاني الكلمات قبل عصر العلم تكتسب بالخبرة المباشرة دون الحاجة إلى تعريفها أو وضع حد جامع مانع لها ، فكان الإنسان يلمس الماء ويشربه ويعرفه حق المعرفة ولم تكن به حاجة إلى تعريف الماء ، بل كان يكفي أن يتعلم في صغره أن (الماء) رمز صوتي لهذه المادة التي يعرفها . وكذلك يتعلم الطفل كلماته الأولى فيعرف الحار والبارد ، والحلو والحامض ، ويعرف الخبز والهواء ، واللبن والطعام ، والرجل والمرأة ، والصبي والصبية بالخبرة المباشرة دون أن يحتاج إلى تعريف هذه الكلمات أو تحديدها .

ثم قامت العلوم ولم تعد هذه الخبرة المباشرة كافية في تحديد معاني الكلمات تحديداً يرضاه العلماء ، فلم يعد يكفي أن نلمس الشيء لنقول إنه حار أو بارد ، بل أصبح لزاماً علينا أن نَعْرِف حَدّ الحار وحد البارد والفاصل الذي يفصل بينهما ومتى يتحول الجسم البارد إلى حار أو يتحول الجسم الحار إلى بارد ، ولماذا يختلف إحساس المرء بالجسم الواحد فيصفه تارة بأنه حار أو يصفه بأنه بارد . وكذلك ظهرت الحاجة إلى تعريف الكلمات .

4- والعلوم كما هو معروف قائمة على التصور والتصديق . والتصور هو معرفة المفردات وإدراكها . والتصديق هو إدراك نسبة المفردات بعضها إلى بعض بالنفي والإثبات . والمصطلحات هي المفردات أو الكلمات المستعملة في علم من العلوم ولا قيام للعلوم إلا بها . وكما يقول التهانوي في كشاف اصطلاحات الفنون : " **إن أكثر ما يُحتاج به في تحصيل العلوم المدونة**

والفنون المروجة إلى الأساتذة هو اشتباه الاصطلاح ، فإن لكل علم اصطلاحاً خاصاً به إذا لم يُعْلَم بذلك لا يتيسر للشارع فيه الاهتداء إليه سبيلاً ، وإلى انفهامه دليلاً " .

5- ولكن كيف تُعَرّف المصطلحات والمفردات ؟ وهل يمكن ذلك إلا بالكلمات ؟ وكيف نُعَرّف الكلام بالكلام ونتجنب مع ذلك مخاطر الانزلاق إلى الدوْر في هذا التعريف ، فنعرف الماء بعد الجهد بالماء ، فنقول عن العين إنها عضو الإبصار ، ونقول عن الإبصار إنه الرؤية بالعين . إنه لا حل لهذا الإشكال إلا باختيار عدد محدود من الكلمات نعده أولياً لا يحتاج إلى حد أو تعريف ، ثم نعرف سائر الكلمات بالقياس إليه ، وهذا ما تفعله المعجمات الحديثة التي يقوم واضعوها باختيار عدد معين من الكلمات يعرفون على أساسه سائر الكلمات والاصطلاحات . وكذلك تقسم المفردات والاصطلاحات إلى قسمين :

- أولية لا تُحَدّ لأنها أساس كل حد
- ومطلوبة يمكن تفسيرها بالحدّ على أساس المفردات الأولية .

6- وحاجة الإنسان إلى الاصطلاحات الجديدة حاجة دائمة لا تتوقف : يرجع بعضها إلى هذا التغير الدائم في حياة الإنسان وما يقتضيه ذلك من استحداث موادّ وآلاتٍ وتصوراتٍ جديدة ، ويرجع بعضها إلى ضروب التفاعل بين الأمم المختلفة حتى يأخذ بعضها عن بعض وينقل بعضها عن بعض . والمصطلحات الجديدة بذلك ضربان :

- ضرب يضعه أهل اللغة وضعاً لأمورٍ تستجدّ في حياتهم وتظهر معها الحاجة إلى الاصطلاح ،
- وضرب ينقله أهل اللغة عن الأمم الأخرى من حولهم لأمورٍ لم تكن معروفة لديهم .

7- وفي اللغة العربية آلاف المفردات من الضرب الأول مما وضِع لأمورٍ استجدت في حياة أهل العربية ومنها مصطلحات العلوم اللغوية والشرعية وغيرها ، فقد وضع العلماء لعلل العُروض والأضاريب علي سبيل المثال عشرات المصطلحات من حَذفٍ وقَطْفٍ ووقْفٍ وكَشْفٍ وقَصْرٍ وبَتْرٍ وقَطْعٍ وصَلْمٍ وتشعيث وتسبيغ وتذييل وترفيل وغيرها مما يجده طالبه في مظانه من كتب العروض . ولكن هذا النبع ما لبث أن غاض ماؤه وانحسر مَدّه ، فلم نعد منذ أمد طويل نضع المصطلحات الجديدة للأمور الجديدة في حياتنا ولم تعد تظهر فينا الحاجة إلى الاصطلاح .

8- وقد نقلت إلى اللغة العربية كذلك مئات المفردات من الضرب الثاني نقلاً عن الأمم الأخرى الباقية أو البائدة في علوم مختلفة كثيرة ، وما تزال مئات الكلمات تنقل إلى اللغة العربية المحدثة في هذه العلوم وغيرها نقلاً عن الأمم الأخرى .

مخاطر وضع المفردات التي تنقل نقلاً

وللمفردات التي توضع نقلاً عن الأمم الأخرى مخاطر ولا سيما ما قام بوضعها منها من هم غير أهل لذلك ، وأكبر هذه المخاطر شأناً وأعظمها وزناً ثمانية هي :

1- وضع مصطلحات جديدة لمعانٍ وتصورات قديمة معروفة لا حاجة إلى وضع المصطلحات الجديدة لها . والأمثلة على ذلك من اللغة العربية المحدثة تفوق الحصر كثرة ومنها :

- (العمود الفقري) ووضع لما يعرف في اللغة العربية الفصحى بالصُلْب ، وهو قناة الظهر التي تنتظم الفقار كما جاء في كتب اللغة .
- و (هجرة الطير) ووضع لما يعرف عند العرب بالقطوع ، ومنه قطوع الطير والسمك ، يقال قطعت الطير قطوعاً إذا تحولت من الجروم إلى الصرود أو من الصرود إلى الجروم ، فهي قواطع ذواهب أو رواجع .
- و (اللواحم) ووضع للسباع ، وهي من الحيوان ما أكل اللحم خالصاً ، ومنها الضواري وهي ما يفترس الحيوان ويأكله قسراً وقهراً كالنمر والذئب ، ومنها اللئام التي تأكل الجيف كالضبع .
- و (تفاحة آدم) ووضع للقُرْدُحة أو القُردوحة وهي عُقْدة الحلق أو هي شيء ناتئ كالجوزة في الحلق .

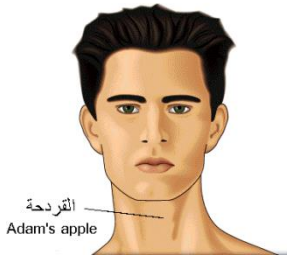

- و (النمر المخطط) ووضع للببر ، وهم لا يعلمون أن النمر إنما سمي نمراً للنمر التي فيه وهي النكت أو Spots في اللغة الإنكليزية ، ومن أمثالهم في الإنكليزية قولهم : A leopard can't change its spots ، والببر مخطط لا نُمَر فيه كما هو معروف .

Tiger =Panthera tigris = الـبَـبْـر

وقد كادت كثرة هذه المفردات الموضوعة تخلق من اللغة العربية الفصحى لغة أخرى محدثة دون حاجة لذلك أو ضرورة .

2- وضع مصطلحات جديدة لتناظر مصطلحات في اللغات الفرنجية لا معنى لها ولا جدوى منها . والأمثلة على ذلك من اللغة العربية المحدثة كثيرة لا حصر لها .

Leopard = Panthera pardus = الـنَـمِـر

- فمن المعروف في اللغات الفرنجية أن الرمز من رموز الكتابة عندهم لا يختص بصوت معين ، فرمز S في اللغة الإنكليزية يمكن أن يلفظ سيناً كما في Sin أو صاداً كما في Sun أو زاياً كما في Is أو شيناً كما في Torsion أو جيماً كما في Vision وقد يكتب ولا يلفظ كما في Aisle ، وقد يختلط لفظه فلا يدري القارئ كيف يلفظه إلا أن يتبين له معنى الكلمة وموقعها من الإعراب ، فرمز S في Close قد يلفظ زاياً أو سيناً باختلاف المعنى بين الإغلاق والاقتراب ، ورمز S قد يلفظ زاياً أو سيناً كذلك في Use باختلاف موقع الكلمة من الإعراب بين الاسم والفعل . بل قد يصح أن يختلف المختلفون في لفظ هذا الرمز في الكلمة الواحدة كما في كلمة Usage التي يصح أن تلفظ بالسين أو بالزاي في آن واحد . ثم إن الشين قد يكتب برمز واحد فقد يكتب برمز S كما في Torsion أو C كما في Associate أو T كما في Nation ، وقد يكتب برمزين معاً نحو SS كما في Commission أو Sh كما في Ship أو Ch كما في Chef ، وقد يكتب بثلاثة رموز نحو Sch كما في Schist .

وقد اصطلح الإنكليز على تسمية رموز الكتابة عندهم Letters ، وظن النقلة عندنا أنها الحروف وما هي بالحروف ، ثم اضطر الفرنجة إلى أن يجدوا للأصوات المعينة كالسين أو الشين اسماً خاصاً هو Phoneme ووضعوا للرمز الدال على الصوت اصطلاح Phonetic symbol ، وهي اصطلاحات لا حاجة بها في اللغة العربية حيث يدل الحرف الواحد على صوت واحد لا يتغير ، ولا يكتب الصوت إلا بهذا الحرف على خلاف ما رأينا في اللغة الإنكليزية . وقد أجهد النقلة المحدثون أنفسهم في غير طائل لكي يضعوا ألفاظاً تقابل تلك الألفاظ الفرنجية دون أن تلجئهم لذلك ضرورة كالتي ألجأت علماء اللغات الفرنجية ، وكذلك

سمعنا عن ألفاظٍ محدثة لا حاجة بها ولا صحة لها كالصائت والمصيت والفونيمة وغيرها وهي تدل كلها على جهل واضعيها باللغة العربية وباللغات الأخرى .

- وقد قسم نقاد الفرنجة الشعر عندهم إلى شعر ملاحم وشعر دعوه Lyric ، ثم اختلفوا في تعريف هذا الشعر Lyric بين من يريد به شعر الغناء أو شعر التأمل أو يريد به كل شعر إلا شعر الملاحم أو يريد به الشعر مطلقاً ، فلا يمثل هذا الضرب المزعوم من الشعر شيئاً معروفاً متفقاً عليه بين الشعراء والنقاد . وقد أجهد النقلة المحدثون عندنا مع ذلك أنفسهم في وضع الألفاظ العربية التي تصفه وهم لا يدرون ما هو ولا كيف يصفونه ولا يدرون ما يعنون به ، وأنّى لهم ذلك وأصحابه في خلاف حول معناه ومفهومه . وهذا الشعر Lyric poetry ما هو في الحقيقة إلا الشعر كما نعرفه في اللغة العربية ليس إلا ولا حاجة إلى اختلاق الألفاظ واصطياد المصطلحات التي لا تغني شيئاً ولا تنفع في شيء .

فينبغي على الذي يتصدى لوضع المصطلحات ألا يكون آلة تعمل دون وعي فتضع لكل لفظ تجده في اللغة الفرنجية لفظاً عربياً مخترعاً أو معرباً دون أن تدرك معنى ما تضع أو الحاجة إليه .

3- وضع مصطلحات مغلوطة نقلاً عن أخطاء في اللغة الفرنجية الأصلية . والأمثلة على ذلك من اللغة العربية المحدثة كثيرة لا تحصى .

- فالوقود السائل إذا كان كثيفاً لزجاً لا يُحْرق إلا أن يُحَوّل إلى قطيرات دقيقة ناعمة يسهل تبخرها وإحراقها . وقد وضع الإنكليز لذلك اسماً مشتقاً من الذرة Atom فقالوا Atomization ، وهي تسمية غير صحيحة دون شك كما يعرف كل من له صلة بهذا العلم ، فإن القطيرة وإن بلغت في الدقة ما بلغت تزيد في حجمها أضعافاً مضاعفة على الذرة ، فليس العمل تذريراً بحال وإن سمي في الإنكليزية كذلك . وقد وضع هذا اللفظ في الإنكليزية فلما أراد الألمان نقله إلى لغتهم تنبهوا إلى هذا الخطأ فوضعوا له اصطلاحاً صحيحاً هو Versprühen وآخر أقل صحة ولكنه أفضل من اللفظ الإنكليزي مع ذلك وهو Zerstäuben . أما النقلة إلى العربية المحدثة فلم يتنبهوا إلى شيء ولم يفطنوا إلى شيء ولكنهم عمدوا إلى اللفظة الإنكليزية فنقلوها بخطئها إلى العربية المحدثة نقلاً آلياً أعمى فقالوا : تذرير ، والصواب أن يقولوا (ترذيذ) لأن الترذيذ هو المقصود هنا وهو التحويل إلى رذاذ ، والرذاذ هو السائل الصغير القطر كأنه الغبار .

4- استعمال الكلمات العربية لمعانٍ لم توضع لها ، تقليداً في ذلك لمعاني الكلمات الفرنجية المناظرة . والأمثلة على ذلك من اللغة العربية المحدثة أكثر من أن تعد أو تحصى .

والكلمة الواحدة كما لا يخفى على أحد إلا على النقلة والمترجمين عندنا قد تكون لها معانٍ كثيرة ، فتسمى الأشياء الكثيرة بالاسم الواحد وهذا هو المشترَك ، وقد حَدّه أهل الأصول بأنه اللفظ الواحد الدالّ على معنيين مختلفين فأكثر دلالةً على السواء عند أهل اللغة ، ولا بد من وقوع الاشتراك لأن المعاني غير متناهية والألفاظ متناهية ، فإذا وزع لزم الاشتراك . والأمثلة من المشترك كثيرة ، فالعين في اللغة العربية قد تعني عضو الإبصار أو السحاب الذي ينشأ من قِبَل القبلة أو عين الماء أو عين الركبة أو ثقباً يكون في المزادة أو الرقيب أو العين في الميزان أو المال الناضّ أو واحد الأعيان من الناس أو شعاع الشمس . وقد جاء في الشعر العربي قصائد كثيرة أراد قائلوها أن يجمعوا فيها معاني العين ومنهم أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي المتوفى سنة 369 في قصيدته التي يقول في مطلعها :

يا دارَ سعدى بذات الضالِ من إضَم سقاكِ صوبُ حيا من واكفِ العين (السحاب)

إنّي لأ ذ كُر أياماً بها ، ولنا في كل إصْباحِ يومٍ قُرةُ العين (عين الإنسان)
تدني مُعَشّقةً مِنّا مُعَتّقةً تَشُجّها عذبةً من نابع العين (عين الماء)
إذا تَمَزّزها شيخُ به طَرَقٌ سرت بقوّتها في الساق والعين (عين الركبة)

ومنهم الحسن بن أسد الفارقي المتوفى سنة 590 حيث يقول :

بِنْتم فما كحلَ الكرى لي بعد وشك البين عينا (عين الإنسان)
ولقد غدا كَلَفي بكم أ ذُ ناً عليّ لكم وعينا (الرقيب) إلى آخر الأبيات .

والعين المبصرة يقال لها في الإنكليزية Eye . ولكلمة Eye في اللغة الإنكليزية معانٍ أخرى ، ولا تناظر في هذه المعاني بين كلمة العين العربية وكلمة Eye الإنكليزية وإن دلتا جميعاً على عضو الإبصار . وأكثر معاني كلمة العين لا يتفق لكلمة Eye الإنكليزية . ومن معاني كلمة Eye ما لا يتفق مع معاني كلمة العين العربية ومن ذلك مركز العاصفة الهادئ ، وسَمّ الإبرة أو خَرتها ، وقرص الزهرة أو وسطها ، ونفاذ النظر وحسن التمييز إلى آخر ما هنالك .

وقد جهل النقلة المحدثون عندنا هذه الحقيقة الجلية الظاهرة فظنوا أن بين كلمة العين وكلمة Eye تناظراً وتقابلاً في معاني الكلمتين جميعاً فما وجدوا Eye إلا وضعوا بدلاً منها العين صح ذلك في المعنى أو لم يصح .

وقد ضَيّع هذا الاستعمال الجاهل الخاطئ معاني الكلمات في اللغة العربية المحدثة ، فلم يعد القارئ الذي يقرأ اللغة العربية المحدثة يعلم مراد كاتبها من مفرداته ، وهل يريد بها معانيها الصحيحة المألوفة في اللغة العربية الفصحى أم يريد بها معاني جديدة هي في الحقيقة معاني الكلمات الفرنجية التي ينقل عنها .

- والبربري في المعجمات العربية هو الكثير الكلام بلا منفعة أو واحد البربر ، ولكن المحدثين الذين يستعملون هذه الكلمة لا يعنون بها كثير الكلام ولا واحد البربر وإنما يريدون بها كلمة Barbarian كما تستعمل في اللغة الإنكليزية والتي تعني فيها الغريب الجِلْف غير المتمدن ، وهي بهذا المعنى وحده دون غيره شائعة في اللغة المحدثة .
- ولكلمة School في اللغة الإنكليزية معانٍ كثيرة منها : موضع التعليم كالكُتّاب والمدرسة ، ومنها المذهب من مذاهب الأدب أو الفقه أو الفلسفة ، ومنها سرب السمك . والمدرسة هي بعض معاني كلمة School ، ولكن النقلة المحدثين يستعملون كلمة المدرسة لمعاني School كلها صح ذلك في اللغة العربية أو لم يصح ، وحديثهم عن مدارس الأدب لا يدل على المدارس بالمعنى العربي الصحيح وإنما يدل على (المذاهب) أو على معنى من معاني School في اللغة الإنكليزية .

وقد أصبح القارئ العربي اليوم بحاجة إلى معجم إنكليزي ليفهم معاني المفردات فيما يقرأ في اللغة العربية المحدثة ، وقد خلق ذلك مشكلة في اللغة المحدثة ضاع معها المعنى المطلوب في أحيان كثيرة بين المعنى العربي الفصيح والمعنى المنقول من اللغات الفرنجية ، وأصبح القارئ في حيرة لا يعلم أيهما يريد الكاتب وماذا يطلب وكيف ينبغي له أن يفسر كلامه ، وفي هذا بعض أسرار هذا الغموض الذي نشعر به إذ نقرأ في الكتب العربية المحدثة التي نفتقد فيها الفصاحة والدقة والصحة جميعاً .

5- نقل الألفاظ العديدة والاصطلاحات المختلفة بكلمة واحدة لا تفي بالمعاني المطلوبة منها ولا تؤديها أداء صحيحاً دقيقاً يبين معانيها وما بينها من فروق ، وذلك خشية من استعمال الكلمات العربية التي أصبحت اليوم غريبة ، وحصراً للغة في عدد محدود قليل من الكلمات التي ما تزال مألوفة شائعة . والأمثلة على ذلك من اللغة العربية المحدثة كثيرة لا تحصى .

واللغة كما قيل وعاء يجمع علوم الأمة ومعارفها ، فإن ضاق الوعاء ضاقت معارف الأمة وإن اتسع اتسعت . وقد غبر على الأمة العربية زمن كانت فيه علومها ومعارفها ثرة غزيرة فكانت لغتها غنية وكان وعاؤها واسعاً رحْراحاً ، ثم جاء زمن اندثر فيه العلم وجفت منابعه وعم الجهل وهزلت اللغة فضاق الوعاء من بعد اتساع ، وأصبح ما يألفه العربي المتعلم من الكلمات والتعابير والتصورات قليلاً محدوداً لا يكاد يتجاوز ألفي كلمة في حساب بعض الحاسبين .

والمعاني والتصورات كثيرة لا تكاد تحصر ، وهي مع ذلك في ازدياد مطرد ، فكيف ننقل هذه المعاني والتصورات إلى اللغة العربية ؟

أما النقلة المحدثون فهم يعمدون إلى النقل المقارب الذي لا يراعون فيه صحة ولا دقة تهرباً من الغريب الذي لم يكن غريباً في يوم من الأيام وتجنباً للكلام المجهول الذي كان مألوفاً فيما مضى أو ينبغي أن يكون الآن مألوفاً . وقد كان من أثر ذلك أن أصبح القارئ العربي الحديث عاجزاً عن إدراك الفروق العلمية الصحيحة بين الاصطلاحات والتصورات .

وأما نحن فلا نشك في أن استعمال الغريب في التصورات الجديدة أمر لا بد منه إن لم يكن لهذا الغريب مرادف مألوف ، وخير لنا أن نستعمل الكلمة الغريبة ونستأنسها إن كانت تؤدي المعنى الذي نريده خير الأداء من أن نلجأ إلى اللفظ الشائع الذي لا يؤدي المعنى المطلوب أو لا يؤديه إن أداه إلا من بعيد .

ولنضرب مثلاً على كثرة المصطلحات في اللغة الإنكليزية وندرتها في اللغة العربية المحدثة من كلمة (الدقة) نفسها . فالدقيق (أو المدقِق) هي الكلمة الوحيدة المألوفة في اللغة العربية المحدثة لمعنى الدقة ، في حين تعبر اللغة الإنكليزية بعدد كبير من الكلمات عن هذا المعنى ، ومن هذه الكلمات :

Precise, accurate, punctual, exact, just, rigorous, meticulous, scrupulous, punctilious, careful, particular, strict …

ولو شئت أن أزيد في هذه السلسلة لزدت .

إن كل كلمة من هذه الكلمات الإنكليزية على اختلافها في معانيها لا تنقل إلى اللغة العربية المحدثة إلا بالكلمة الوحيدة التي يعرفها العامة في هذا العصر ولا يعرفون سواها وهي كلمة الدقيق أو المدقق .

وقد يظن الجاهل أو الحاقد أن ذلك أمر يعود إلى فقر اللغة العربية وعجزها ، وليس ظنه هذا بشيء ، بل اللغة العربية الفصحى غنية بالكلمات التي يمكن أن تدل على معاني الكلمات الإنكليزية ، ولكن هذه الكلمات أصبحت اليوم مهجورة فينا غريبة علينا غير مألوفة بيننا ولا معروفة ، وأصبح الذي يطلبها أو يستعملها وهو لا يجد في الكلام المألوف ما يقوم مقامها مَظَنّة الإغراب أو التقعر .

وكذلك يترجم النقلة المحدثون كلمات Leopard و Panther و Tiger بكلمة واحدة هي النمر . ويترجمون كلمتي Eagle و Vulture بالنسر ، ويترجمون كلمات Hawk و Buzzard و Falcon جميعاً بالصقر ، وقس على ذلك .

6- جهل معاني الاصطلاحات المطلوبة ونقلها إلى اللغة العربية نقلاً لفظياً لا معنى له في كثير من الأحيان . والأمثلة على ذلك من اللغة العربية المحدثة كثيرة لا تحصى .

- فمادة Carbon black هي شكل من أشكال الكربون غير البلورية ، وتصنع بتفكيك المواد الهدربونية بالحرارة أو بالأكسدة ، وتستعمل في صناعة الحبر والأصبغة وغيرها . والتراجمة المحدثون يلقبونها (أسود الكربون) وكان حقها أن تدعى (الصباغ الكربوني) لأن كلمة Black هنا تعني الصباغ ولا تعني الأسود ، وشبيه بذلك أن يسمي التراجمة المحدثون (ماسح الأحذية) بلقب (أسود الحذاء) لأنه يدعى في اللغة الإنكليزية Bootblack .

- ومن الأمثلة الأخرى قولهم في المازوت : زيت الغاز Gas oil ، وفي الحمّام : غرفة الحمام Bath room ، لأنهم يظنون أن Bath هو الحمّام وما Bath في الحقيقة إلا المغطس أو الأبزن أو البانيوْ بلغة العامة ، وقس على ذلك .

7- سوء فهم المصطلحات المطلوبة والانخداع في ذلك بلفظ هذه الكلمات دون معناها ، فينقل الناقل الكلمة بما يشبهها في اللفظ وإن اختلف المعنى . والأمثلة على ذلك من اللغة العربية المحدثة كثيرة لا تحصى .

- فمنها قولهم في Barge بارجة . و Barge هي سفينة شحن مسطحة القاع تستعمل في السواقي والأنهار وتعرف عند العرب بالهرهور ، أما البارجة فهي سفينة من سفن البحر تتخذ للقتال ، وهي في الإنكليزية War ship .
- ومنها قولهم في tar قار . و Tar هو القَطْران ، وهو سائل أسود لزج يحصل عليه من تفكيك الفحم أو الأحطاب بالحرارة . ويصف الأنطاكي في تذكرته صنعته فيقول : " **وصنعته أن تقطع الأحطاب وتجعل في قبة قد بنيت على بلاط سُوّي ، وفيها قناة تصب إلى خارج وتوقد حولها النار فإنه يقطر . يحفظ الأجساد من البلى ومن ثم سمي حياة الموتى** " . وقد انتقلت الكلمة العربية إلى الفرنسية ، فيقال للقطران في الفرنسية Goudron . أما القار فهو مادة هدربونية معدنية جامدة ، وتعرف في اللغة العربية بأسماء كثيرة منها الكفر والحمر والموميای ، وتعرف في الإنكليزية بأسماء منها Bitumen و Asphalt و Gilsonite و Pitch وغيرها .
- ومنها قولهم في Nobility النبلاء وهم الأشراف . وقولهم في Sheriff الشريف وهو صاحب الشرطة ، وقس على ذلك .

8- سوء فهم الاصطلاحات المطلوبة والانخداع في ذلك بأصل الكلمة اللغوي ، ولا سيما ما كان أصله عربياً منها . والأمثلة على ذلك من اللغة العربية المحدثة كثيرة . ومن المعلوم أن الكلمات إذ تنتقل من لغة إلى أخرى تغير من معانيها ، ولا بد للمترجم إن أراد الدقة والصحة في نقله أن يدرك ذلك تمام الإدراك ويكون له متنبهاً . فكلمة Apricot كلمة أصلها عربي وهو البرقوق . والبرقوق في اللغة العربية هو نوع من الإجاص البري الصغير . وما تزال هذه الكلمة فيما أظن مستعملة في مصر إلى الآن بمعنى الإجاص . والإجاص هو الفاكهة التي تعرف في الشام بالخوخ ، والخوخ في اللغة هو الرطب من الإجاص . أما الفاكهة التي تعرف في الشام بالإجاص فيقال لها في اللغة العربية الكمثرى . ولكن كلمة Apricot في اللغة الإنكليزية لا تعني الإجاص ولا البرقوق ولا الخوخ ولا الكمثرى وإنما تعني المشمش ، وذلك أن كلمة Apricot نقلت عن المغاربة الذين يستعملون كلمة البرقوق بمعنى المشمش . ومن الخطأ لذلك ترجمة كلمة Apricot بالبرقوق وإن كانت كلمة البرقوق أصل كلمة Apricot .

وقد فات ذلك كله النقلة ووضاع الاصطلاحات في اللغة العربية المحدثة فتجدهم يسارعون في ترجمة الألفاظ الأعجمية العربية الأصل بأصولها دون مراعاة التغير في المعنى . فروح الخمر يعرف في الإنكليزية باسم Alcohol ، وهي كلمة أصلها عربي : الكحل . ولكن الكحل هو غير Alcohol ، فالكحل هو كل ما وضع في العين يستشفى به مما ليس بسائل ، وقد يجمع على كحول ، ومن الخطأ المضحك تسمية روح الخمر كحولاً ثم جمع هذه الكلمة التي هي في أصلها جمع على كحولات . والإنبيق في اللغة العربية هو الغطاء الذي تغطى به القرعة المستعملة في التقطير ، ويتصل به أنبوب معوج يسيل منه السائل المقطر ، وهو بهذا المعنى ليس إلا جزءاً من الجهاز الذي يعرف في اللغة الإنكليزية باسم Alembic المنقول في أصله عن كلمة الإنبيق العربية .

السبيل إلى وضع الاصطلاحات الجديدة المطلوبة

والسبيل إلى وضع الاصطلاحات الجديدة المطلوبة في اللغة العربية سبيل ممهدة موطأة الأكناف لا حاجة معها إلى الخبط في المتاهات وطلب بُنَيّات الطريق . ولوضع الاصطلاحات الصحيحة في اللغة العربية طرائق خمس هي :

1- استعمال الكلمات المترادفة لمعان متقاربة مختلفة . والمترادفات في اللغة العربية الفصحى كثيرة واستعمال هذه المترادفات في المعاني المختلفة المتقاربة ميسور .

- فالنجم في اللغة العربية هو الكوكب والكوكبة ، ولكن علماء الهيئة اختصوا كلمة النجم بما كان مضيئاً في ذاته من أجرام السماء كالشمس والثريا والشِعْرى العَبور والشعرى الغُمَيْصاء ، واختصوا كلمة الكوكب بالأجرام التي تدور حول النجوم وتستضيء بضوئها ومنها كواكب الشمس كالمريخ والزهَرة وعطارد وغيرها ، واختصوا كلمة الكوكبة بمجموعة من النجوم تكون على هيئة أو صورة معينة تعرف بها ككوكبة الشِلْياق (وفيها النَسر الواقع) وكوكبة الدب الأصغر (وفيها بنات نعش الصغرى) وغيرهما .
- والصقورات أمة من أمم جوارح الطير الكبرى وفيها عشرة أجناس باقية لم تكن العرب تعرف منها إلا جنس الصقر وحده . ولكن الصقر يعرف في العربية بأسماء أخرى غير مألوفة منها الزَوْل والنَهْشَل والزَهْدَم والشَقْذ والعُلاّم وغيرها ، فقد جاز لذلك أن يختص كل اسم من هذه الأسماء بجنس من أجناس الصقورات .

2- استعمال الكلمات القديمة لمعان جديدة لعلّة أو معنى مشترك بينهما .

- فالورق في اللغة العربية هو ورق الشجر وهو ما تَبَسّط منه تبسّطاً وكان له عَيْر في وسطه تنتشر عنه حاشيتاه . ثم أطلق الورق على ضرب من الأُدُم رقيق كانت تكتب عليه المصاحف ، ثم أطلق الورق على ما كان متبسطاً يكتب عليه ومنه الكاغَد .
- والشمع هو ما يفرزه النحل ويصنع منه بيوته ويحفظ فيه عسله . وقد استعمل الشمع في صناعة شموع الإضاءة ، وكانت مدينة بجاية في المغرب من المدائن التي تعرف بذلك وتحمل منها الشموع إلى سائر الأقطار ، وقد عرف الشمع في اللغة الفرنسية لذلك باسم مشتق من اسم هذه المدينة فقالوا عنه Bougie ومنه La bougie d'allumage في السيارة وهو ما يعرف عند العامة في الشام بالبوجية . ثم تطورت صناعة النفط وحلت محل الشمع في صناعة الشموع مادة برفينية تستخلص من النفط فأطلق عليها الشمع ، وإن لم تكن لها بشمع النحل صلة ما .

3- الاشتقاق وبابه في اللغة العربية واسع عريض مفتوح ، قياسي في الأكثر ، ومنه أسماء الآلة والزمان والمكان والأوزان المختلفة التي تدل على معانٍ مختلفة كالفُعال للعلل والأدواء ، والفَعَلان للحركة والاضطراب ، والفُعالة لبقية الشيء ، والفِعالة للصناعة وغيرها . ولو قد أحسن المحدثون الانتفاع بهذا الباب لكان لهم فيه مدخل واسع ، ولكنهم جهلوه وسدوه فضيقوا على أنفسهم وعلى اللغة .

والمحدثون يقولون الآلة الحاسبة ولا يقولون محسبة ولا محساباً ، ويقولون غرفة الاحتراق أو بيته أو حجرته ولا يقولون مَحْرِقاً ، ويقولون حديقة الطير ولا يقولون مَطارة وقس على ذلك .

4- وقد لجأ القدماء إلى التعريب حين لم يكن من التعريب بد أو عنه مندوحة فعربوا عشرات الكلمات ومنها الهندسة والفلسفة والدرهم والدينار وغيرها . والمحدثون اليوم لا يعربون وإنما ينقلون اللفظ الأعجمي بعجمته الظاهرة ثم يستعملونه حين لا تكون في استعماله حاجة ، وربما عمد المحدثون إلى اللفظة العربية في أصلها فأخذوها عن القوم فلم يردوها إلى أصلها ولم يعربوها .

ومن الطرائف في ذلك ضرب من النبات عرفه العرب قديماً باسم (الحرشف) ثم حرفه العامة إلى (الخرشوف) ، وانتقلت هذه الكلمة إلى اللغة الإسبانية فأصبحت Alcachofa ثم انتقلت إلى الفرنسية فأصبحت Artichaut ، ثم دخلت الإنكليزية وأصبحت Artichoke ثم عادت أخيراً إلى العرب المحدثين فنبذوها بهذا الاسم الطريف العجيب الغريب الذي لا معنى له فقالوا عن هذا الضرب من النبات (أرضي شوكي) وهما كلمتان من العجمة بمكان . ومثل ذلك كثير في اللغة المحدثة كالكحولات والصودا وإبط الجوزاء والزيركون وغيرها من الكلمات التي أعيدت إلينا مشوهة محرفة مستعجمة .

5- والنحت أسلوب لم يستكثر منه القدماء وقد ورد مع ذلك في بعض كلامهم فقالوا عن عرق السوس العرقسوس ، وقد انتقلت هذه الكلمة إلى الإسبانية فيما يذهب إلى ذلك نفر من العلماء وأصبحت Alcazuz ثم عادت إلينا أخيراً باسم الكازوز ، فالكازوز من بضاعتنا التي ردت إلينا بعد أن شوهت ومسخت ، وإن كان للكازوز أصل آخر فيما يظن نفر آخر من العلماء ، ذلك أنهم يرجعونها إلى القازوزة التي تعني في اللغة إناء من آنية الشراب . ومن الأمثلة على الاصطلاحات المنحوتة قولهم الكهرطيسية من الكهرباء والمغنطيسية ، والهدربونية من الهدرجين والكربون وغيرهما .

الخاتمة

وتعريب العلوم أمر لا يتحقق إلا إن أمكن وضع الاصطلاحات الصحيحة المتفق عليها ، فلا قيام للعلم إلا بهذه الاصطلاحات . والحاجة إلى وضع هذه الاصطلاحات حاجة دائمة لا تتوقف أبداً .

وينبغي الحذر مع ذلك عند وضع الاصطلاحات المطلوبة وتجنب الوقوع فيما وقع به الوضاع المحدثون من وضع المصطلحات التي لا حاجة لها ، أو وضع الاصطلاحات دون معرفة بأصولها ومعانيها المطلوبة .

وسبيل وضع الاصطلاحات في العربية سبيل ممهدة لا يضل الساعي فيها ما التزم الجادة وتجنب بنيات الطريق .